دلالة حروف المعاني في كتاب أدب فناء المقربين في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للعلامة الشيخ جوادي آملي

The Significance of the Letters of Meanings in the Book Adab Fanaa Al Muqribeen in Explaining the Great Comprehensive Visitation by the Scholar Sheikh Javadi Amoli

أ. علي بدر جعيز

أ.د. خليل خلف بشير

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق.

Ali Bader Jaez

Email: Lec.ali.bader@uobasrah.edu.iq

Prof. Dr. Khaleel Khalaf Basheer

Email: khalel.basher@uobasrah.edu.iq

Arabic Language Department, Faculty of Arts, University of Basrah, Iraq.

تاريخ الاستلام: 2025-01-05 **تاريخ القبول:** 2025-02-15 **تاريخ النشر** **2025**-04-01

المُلخّص:

إنّ علم الدلالة من المباحث اللغوية المهمة التي تصدّى لها دارسو اللغة والشرّاح؛ وذلك لأنَّه ذو علاقة وثيقة بالعلوم اللغوية المختلفة، وإنَّ العمل في البحث الدلالي يُهيّئ الباحث لإلمام بعلوم اللغة العربية، إذ يتطرّق إلى معجمها، وصرفها، ونحوها، وسياقها، والوقوف على أصالة جهود العلماء الأوائل. والزيارة الجامعة الكبيرة للإمام علي الهادي من الإرث الحضاري الذي نال عناية الدارسين والشرّاح، وقد وقع اختيار الباحث على واحدٍ من الشروح المعاصرة للزيارة، يكاد يكون من أبرز الشروح القديمة والحديثة، وهذا السفر النفيس الموسوم بـ (أدب فِناء المقرّبين في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة) حلقة من تلك السلسلة الذهبية التي صاغتها أنامل المؤلف وسقتها عبقريته بماء الفضيلة ومعارفه القدسية. بدأت الدراسة بمقدمة، فتمهيد عُضّد به مفاهيم الزيارة وتصانيفها وسندها، ثمَّ قُسّم البحث لبيان دلالات حروف المعاني الواردة في شرح الزيارة المباركة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: اتّضح أنَّ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للعلامة الآملي ذو قيمةٍ علميّةٍ بالغة ومتنوعة، وأنَّه غنيّ بالموضوعات والأبحاث اللغوية، وقد فاق بذلك جميع الشروح القديمة والحديثة؛ وعُني العلّامة الآملي بالدلالات اللغوية على اختلافها، ولكن بدرجات متفاوتة؛ فكانت الدلالة المعجمية والصرفية مقدّمة على سواها، ثم الدلالة التركيبية، ولم يُعطِ الدلالة الصوتية أي اهتمامٍ في شرحه، على حين كانت له دراية بالدلالة الصرفية، وإحاطة بمعاني الأوزان الاسمية والفعلية، وما يعتري الصيغ من زياداتٍ بنيوية تغيّر المعنى، والأثر الدلالي الذي تُحدثه.

الكلمات المفتاحية: لمحة عن الكتاب، الزيارة الجامعة الكبيرة، دلالة حروف المعاني.

Abstract:

Semantics is one of the important branches of linguistics that has been addressed by language scholars and commentators, due to its close connection with various linguistic disciplines. Indeed, engaging in semantic research equips the researcher with a comprehensive grasp of Arabic linguistic sciences, as it delves into its lexicon, morphology, syntax, context, and the foundational efforts of early scholars. The "Great Comprehensive Ziyara" of Imam Ali Al-Hadi stands as a magnificent cultural heritage that has attracted the attention of scholars and commentators alike. The researcher selected one of the contemporary commentaries on the Ziyara widely regarded as one of the most prominent among both ancient and modern commentaries. This precious work, entitled Adab Fanā' Al-Muqarrabīn in the Explanation of the Great Comprehensive Ziyara, is a gem from that golden series, crafted by the author's own hands and imbued with his genius through the waters of virtue and his sacred knowledge. The started with an introduction that served as a prelude, outlining the concepts of the Ziyara, its classifications, and its chain of transmission. The research was then divided to clarify the semantic nuances of the particles of meaning presented in the commentary on the blessed Ziyara, and it concluded with a presentation of the most important results.

Keywords: Overview of the book, the Great Comprehensive Ziyara, the significance of the particles of meaning.

المقدمة:

تعد الزيارة الجامعة الكبيرة للإمام علي الهادي من الإرث الحضاري الذي نال عناية الدارسين والشرّاح، وفي كل عصرٍ ينبري عَلَمٌ من أعلام الأمة، يأخذ على عاتقه شرح هذه الدُّرر الثمينة. وما زالت تلك الشروح في تطوّرٍ ونموٍّ متزايد، تنسجم مع النظريات العلمية الحديثة. وقد وقع اختيار الباحث على واحدٍ من الشروح المعاصرة للزيارة، يكاد يكون من أبرز الشروح القديمة والحديثة، وهذا السفر النفيس الموسوم بـ (أدب فِناء المقرّبين في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة) حلقة من تلك السلسلة الذهبية التي صاغتها أنامل المؤلف، وسقتها عبقريته بماء الفضيلة ومعارفه القدسية.

وقد أودع من دقائق قريحته الوقّادة ونكات تفكيره العميق على أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة من أعظم تلك الزيارات شأناً، وأعلاها مكانة، وأنَّ فصاحة ألفاظها وبلاغة مضامينها تنادي بصدورها عن ينابيع الحكمة والإلهام، فإنها فوق كلام المخلوق، وتحت كلام الخالق. بدأ البحث بمقدمة، فتمهيدٍ سمّيته (البحث الدلالي ولمحة عن الكتاب وشارحه)، وتضمّن لمحة عن الكتاب وشارحه، ومعنى الزيارة، وشروحها، وسندها، ثم قُسِّم البحث على مجموعة من دلالات حروف المعاني، مستعرضاً أهم النتائج.

التمهيد:

إنّ الزيارة الجامعة الكبيرة إحدى أفضل الزيارات التي هي بصدد بيان عظمة الأئمة الأطهار وعلوّ وجودهم، وبذلك تمهّد الطريق لمعرفةٍ أعلى، وعرفانٍ أكمل. فقد انطوت في هذه الزيارة معارف غزيرة وكثيرة، هي بحاجة إلى شرحٍ وبيان؛ لكي يتجلّى بالبرهان المقام الحقيقي لتلك الذوات المقدسة[1].

ويلمح الشيخ جوادي آملي إلى أنَّ لكلمة (فناء) معنيين هما [2]:

1 . الفسحة والسعة تكون أمام الدار وما امتدّ من جوانبها دوْراً.

2 . ما يُقابل البقاء، وهو الهلاك والاضمحلال [3].

والكلام في هذه الفقرة عن المعنى الثاني للفناء؛ لأنّ الفناء ليس بمعنى هلاك الموجود وزواله، بل هو رجوع إلى الله، ونقله من نشأة الدنيا، وهي نعمة حريّة بالشكر [4]. وإنَّ البلوغ إلى مرتبة الفناء

---

[2] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 16/1.

[3] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 265/7، 266.

[4] مجمع البحرين، 332/1. وينظر: التحقيق في كلمات القرآن، 161/9.

[5] ينظر: الميزان في تفسير القرآن، 101/19.

عن غيره تعالى إنما يتحصّل بتربية الله عزّ وجلّ وبتأييده، فإن هذا المقام منتهى درجة العارفين بالله وأوليائه المقرّبين، وهو مقام اللاهوت، وحقيقة مقام الفناء كسائر المعارف الإلهيَّة لا يعرفها إلّا من وفّقه الله في السير والسلوك، والمجاهدة، وتزكية النفس، والإخلاص، وما يُقال فيها من غير أهلها إثباتاً أو نفياً فهو ضلالٌ وإضلال [1].

وكلمة (زور) بمعنى الميل والقصد، والزور أعلى الصدر، والذهاب للّقاء يُسمّى زيارة؛ لأن الزائر يتلقّى المزور بصدره ويميل إليه بزوره. يُقال: زرتُ فلاناً: تلقّيته بزوري أو قصدت زوره والزيارة هي قصد المزور إكراماً له واستئناساً به، سواء كان ذلك مادياً أم معنوياً.[2]

على أنَّ "إنّ زيارة أهل البيت ليست مثالاً للتأدّب في فنائهم وحسب"، بل هي ترتيلٌ مقدّس يفيض بفضائلهم، ويُبيّن شيئاً من مناقبهم العلمية والعملية، إحداها وزنهم بالقرآن الكريم"[3].

إنَّ التأدب والوقار في فِناء أولياء الله ثمرة العقيدة الصائبة والعمل الصالح، وهو من أسباب زيادة التقوى وتعاظمها، والمتقون هم من تزورهم الملائكة يوم القيامة. وقد ذكر القرآن الكريم في عدد من الآيات الآداب الخاصة لحضور الزائر في فِناء المزور [4].

وقد نصّ غير واحدٍ من أكابر علمائنا على أن الزيارة الجامعة من الزيارات التي لا شكّ في صدورها عن الإمام علي بن محمد الهادي[5].

فقد لاقت هذه الزيارة اهتمامًا بالغًا من قِبَل العلماء، فانبروا لشرحها وتوضيح معانيها، وشمَّروا عن سواعدهم، وبذلوا جهودهم، وأوقفوا شطرًا من حياتهم لتبيين مفاهيمها العالية ومعانيها الرفيعة [6].

وبنظرة عابرة إلى كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) لآقا بزُرك الطهراني، يُتَبيَّن مقدار الشروح التي دُوِّنت لهذه الزيارة، حيث أحصى هذا الكتاب أكثر من عشرين شرحًا [7].

---

[2] ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، 161/9.

[3] ينظر: المصباح المنير، 260/1.

[4] أدب فناء المقرّبين، 17/6.

[5] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 6/6؛ ينظر: مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، علي حسين الميلاني، ص38.

[6] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 337/9.

[7] مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، ص63.

[8] الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني: (ج2/45، 239، 302)؛ (ج3/ 89)؛ (ج4/443)؛ (ج11/60)؛ (ج13/305–306)؛ (ج14/ 223، 224، 234). وينظر: مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، 64/1؛ ينظر: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، المجلسي، ص8.

سند الزيارة:

قد اشتهرت هذه الزيارة الشريفة بين الشيعة وعلمائهم بنحوٍ تلقّوها بالقبول بأجمعهم، بدون خلافٍ من أحدهم؛ لما علموا يقيناً بصدورها منه، فلا رادّ ولا معترض، بل ولا متأمّل في صدورها عنه. وكفى به اعتماداً قولُ العلامة المجلسي: "أصحُّ الزيارات سنداً، وأعمُّها مورداً، وأفصحُها لفظًا، وأبلغُها معنًى، وأعلاها شأنًا"[1].

أمّا لفظ (الجامعة) فمأخوذٌ من مناسبة الزيارة، ذلك أن الراوي طلب من الإمام أن يُعلّمه قولاً بليغًا كاملاً يصلح لزيارة أيّ واحدٍ منهم (سلام الله عليهم)، فجمع له الإمام بهذه الزيارة ما أراد. وأما وصف هذه الزيارة بـ (الكبيرة)، فلأنها من أطول الزيارات الواردة إلينا من المعصومين[2].

دلالة حروف المعاني:

الحرف في المفهوم اللغويّ: الطرف والجانب، وحرف كل شيء طرفه، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدّد [3]، أمّا في الاصطلاح: فهو ما دلّ على معنىً في غيره، وليس له علامة تميّزه كما في الاسم والفعل، نحو :هل، في، على، من، لم، إن [4]. والحروف لا تدل على معنىً ما دامت منفردةً بنفسها، لكنّها إذا وُضعت في كلامٍ ما، ظهر لها معنىً لم يكن من قبل [5]. ولا شكّ أنّ لحروف الجر نصيبًا وافرًا من البحث، لما تفضي إليه من دلالات لها كبير الأثر في توجيه الدلالة النحوية، ويزيد تلك الدلالة ثراءً ما تتمتع به تلك الحروف من مرونةٍ دلالية تتيح استعمالها لأكثر من معنى، ما يُسهم في تعدد الاحتمالات في النص الواحد، تبعًا لتعدد الأفهام.

وقد عُني سائر علماء اللغة والنحو بها؛ لأنّها وسائل الربط في التركيب الذي ينصبّ عليه عمل النحوي، وكذلك عُني بها أهل الفقه والأصول؛ لأنّ هذه الحروف تدخل في تحديد الأحكام الفقهية والأصولية تبعًا لدلالاتها المختلفة.

واختلفوا جميعًا في حقيقة دلالاتها على المعنى: هل تدلّ في نفسها، أو في غيرها؟ والغالب لديهم أنّها تدل على معنى في غيرها [6]، أما المحدثون فهم على خلاف أيضاً، إذ ترى طائفة منهم أنَّها كلمات وظيفية تُعبّر عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة، وهي علاقات سياقية، لها فعل

---

[2] ينظر: الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: 355/354/1.

[3] تراكيب الشرط في نص الزيارة الجامعة، عدوية عبد الجبار الشرع، بحث، ص25.

[4] ينظر: لسان العرب، 385/1، (حرف).

[5] ينظر: شرح شذور الذهب، ص36؛ والبحث الدلالي في نور الأنوار، ص30، د. خليل خلف بشير.

[6] ينظر: النحو الوافي، 57/1–58.

[7] الجنى الداني في حروف المعاني، حسن المرادي، ص20؛ وتناوب حروف الجر في لغة القرآن، محمد حسن عواد، ص7.

نحويّ أكثر من كونه لغويًّا [1]، على حين يرى آخرون أنّ الحروف تدل على معانيها في نفسها وهي منفردة [2].

وقد عني العلّامة جوادي الآملي بحروف المعاني ودلالتها في شرحه، وحرص على التفرقة الدقيقة دلاليًّا بينها، وتوجيه معانيها تبعًا للمعاني القرآنية:

فمثلاً: الجار والمجرور في فقرة (وَلَكُمُ المَوَدَّةُ الواجِبَةُ) [3]، متعلق أيضًا بفقرة (والدَّرَجاتِ الرَّفِيعة)، فالدرجات الرفيعة منحصرة في الأئمة، وكذا انحصار المودّة عليهم، فلهم من الدرجات ما ليس لسواهم، حتى مثل الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى – صلوات الله عليهم –، وعظام الملائكة كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل [4]. وفيما يأتي بيان لدلالات حروف المعاني الواردة في شرح الزيارة المباركة.

دلالة حرف (الباء):

في قوله: الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ [5]، "الباء" في جملة "الفائزون بكرامته" يصحُّ أن تكون صلةً، وأن تكون سببيّة؛ فعلى الاحتمال الأول، يكون المعنى: أنّهم فازوا بكرامة الله وحظوا بها وعلى الثاني، يكون المعنى: أنّهم حظوا بوسيلةٍ ومقامٍ يُنيلهم الفوز بكرامته تعالى [6].

وفي قوله: "بِمُوالاتِكُم عَلَّمَنا اللهُ مَعالِمَ دِينِنا وَأَصلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِن دُنيانا" [7]، تقديم الجار والمجرور في "بموالاتكم" يُفيد الحصر. واستعمال الفعل الماضي (علَّمنا – أصلح) بدل المضارع لإفادة تحقّق الحصول، وهو بحكم الماضي المتحقّق. وهذا النحو من الاستعمال للماضي كثير في اللغة العربية [8]، وفي القرآن أمثلة، منها آية: "إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ" [9]. وكذا في قوله: "وَدَعَوْتُمْ إِلَى

---

[2] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناه: 124.

[3] اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية: عبد الهادي الفضلي، 55.

[4] بحار الأنوار: 132/99.

[5] ينظر: أدب فناء المقربين: 424/12.

[6] المصدر نفسه: 377/3.

[7] المصدر نفسه: 380/3.

[8] بحار الأنوار، 133/99؛ ينظر: أدب فناء المقرّبين، 375/12.

[9] أدب فناء المقرّبين، 382/12.

[10] سورة الواقعة، الآية: 1.

سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"[1] كلمة (بِالْحِكْمَةِ): "الباء" فيها للاستعانة، كما تقول: (كتبتُ بالقلم)، فيكون مدخولها "الحكمة"، آلةَ الداعي. [2]

وفي قوله: "بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَىٰ ٱلرِّضْوَانِ، وَعَلَىٰ مَنْ جَحَدَ وِلَايَتَكُمْ غَضَبُ ٱلرَّحْمَٰنِ"[3]، "يُسلك": سلكتُ الطريق سلوكًا، أي: ذهبتُ فيه، ويتعدّى بنفسه أو بالباء.

يُقال: سلكتُ زيدًا الطريق، وسلكتُ به الطريق. وسلكتُ الشيء بالشيء: أنفذته [4]. كلمة (بِكُمْ) في (بِكُمْ يُسلكُ إلى الرضوان): بمعنى بسبب ولايتكم، الأنوار الساطعة [5] بدليل ما تلاها من حلول غضب الله على جاحدها. وتقديم حرف الجر "باء" يدل على الاختصاص [6].

وفي قوله: "بِكُمْ فَتَحَ اللهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ"[7]، إن كان حرف (الباء) في كلمة (بِكُم) للابتداء، فالمعنى: إنّ الله تعالى بدأ خلق عالم الوجود بخلق تلك الذوات القدسية، وبهم يبلغُ به منتهاه.

وإن كان حرف (الباء) في كلمة (بِكُم) للسببيّة، كان المعنى: إنّ الأئمة هم الواسطة في إيجاد وإفناء العالم، وفي إيصال الخير المعنوي والمادي.

فتكون فقرة (بِكُمْ فَتَحَ اللهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ) لبيان منزلة الأئمة في التشريع، واحتياج الإسلام من بدئه إلى ختمه إليهم[8].

وكذا في قوله: "وَعِندَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ"[9]، فإن كانت (الباء) في جملة "ما نزلت به رسله" للمصاحبة، يكون المعنى: إنّ الأنبياء نزلوا بمعيّة الوحي من العوالم العلوية إلى هذه النشأة الدانية.

ويُقوّي هذا المعنى آية: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ" [10]، وإن كانت للتعدية، فالمعنى: إنّ الأنبياء أنزلوا الوحي للناس، كما في قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

---

[2] أدب فناء المقرّبين، 419/5.
[3] المصدر نفسه، 422/5.
[4] المصدر نفسه، 39/12.
[5] ينظر: المصباح المنير، 286/1، مادة (سلك).
[6] أدب فناء المقرّبين، 324/5.
[7] المصدر نفسه، 45/12.
[8] بحار الأنوار، 129/99.
[9] ينظر: أدب فناء المقربين، 296.293/11.
[10] بحار الأنوار، 132/99، وينظر: أدب فناء المقربين، 342/11.
[11] سورة الحجر: 21.

لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ" [1]؛ لأنّ قلوب الأنبياء منازل للوحي، لكن بتوسّط الملائكة، وقلوبهم حلقاتٌ متوسطة في تلقيه، وليست منتهاه؛ لأنّ آخر منازله سمع الناس وقلوبهم.

وعلى هذا، يكون المراد من "الملائكة" في هذه الفقرة: الملائكة المصاحبة للوحي حين نزوله، أو النازلة به [2].

دلالة حرف (عن):

في قوله: "عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُم مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ، وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيرًا"[3]، "عنكم" جارّ ومجرور، وهي في محل مفعول بالواسطة للفعل (أذهب)، والضمير فيها يعود إلى (أهل بيت النبوة)، وهم المخاطَبون بَدْءَ الزيارة.

ومقتضى القواعد العربية أن تأتي هذه الكلمة بعد كلمة (الرجس)، وهي المفعول الأول للفعل "أذهب"، لتكون العبارة هكذا: (وأذهب الرجس عنكم).

ولكن قُدّمت عليها لإفادة الحصر، بمعنى: أنّ صرف الرجس فيضٌ خاصّ بكم، أهل البيت [4]. وجاء بضميرٍ واحد في (عنكم) قولًا باستعمال اللفظ في أكثر من معنى، وهو محلّ خلاف عند علماء أصول الفقه،

بل إنّه يُنزل بمقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، لأنّ الله تعالى لا يذكره في كتابه إلّا منفردًا عن غيره من آحاد الأمة، تعظيمًا له وتفخيمًا لشأنه كما في آية: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ" [5]، وآية: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" [6]. ولحرف (عن) معانٍ أيضًا، أهمها وأكثرها استعمالًا: المجاوزة.

ومعناها: إنّ الفاعل قبل حرف (عن) انصرف عن المجرور، ودلّ على انصرافه بـ(عن).

تقول: سافرتُ عن البلد، رغبتُ عن كذا، رميتُ السهم عن القوس [7]. وتجيء أيضًا مع (عن) دالّةً على المجاوزة، كما في قوله تعالى: "أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ" [8]، ومتعلّق

---

[2] سورة آل عمران، الآية 199.

[3] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 347/11–348.

[4] بحار الأنوار، 132/99؛ ينظر: أدب فناء المقرّبين، 342/11.

[5] أدب فناء المقرّبين، 11/5.

[6] سورة البقرة، الآية 285.

[7] سورة المنافقون، الآية 8.

[8] مغني اللبيب في كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، 147/1.

[9] سورة التوبة، الآية 104.

عبارة (عن عباده) هو الفعل المضارع (يقبل)، والمعنى: إنّ الله تعالى يرضى بالتوبة، بل ويتجاوز عمّا بقي على التائب ممّا لم يتب منه [1].

دلالة الحرف (إلى):

في قوله: "وَأمرُهُ إِلَيكُم"[2]، كلمة "إلى" ذكر لها ابن هشام ثمانية معانٍ، والمناسب هنا أن تكون بمعنى (اللام).

وقد وردت بمعناها في قوله تعالى: "وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ"[3]، أي: أنتِ الآمرة الناهية.

وقيل: إنّها في الآية بمعنى انتهاء الغاية، أي: الأمر منتهٍ إليكِ، وهي مرادفة للّام.

وقيل أيضًا: لانتهاء الغاية [4]. وهذا هو المعنى المشهور. وذكر آخر أنّ معناها الاختصاص، وهو قصر شيء على آخر وتخصيصه به، ومثّل له بقوله: "الأب راعي الأسرة وأمرها إليه... والحاكم راعي المحكومين وأمرهم إليه...

فليتقِ الله كلُّ راعٍ في رعيته [5]. ومثل هذا التعبير ورد في القرآن، قال تعالى:

"وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ" [6]، وفي الآية دلالة على تملّك ملكة سبأ زمام الحل والعقد، وطاعة قومها لها طاعة مطلقة. وإنّ هذا التعبير يُستعمل كثيرًا اليوم في هذا المعنى أيضًا. فتدل هذه الفقرة على تملّك الأئمة زمام الأمر في نظامي التكوين والتشريع، وهو ما يُسمّى بالتفويض [7].

وكذا في قوله: "وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ" [8]، كلمة "إِلَيْكُمْ"، الحرف (إلى) يُحدّ به انتهاء الغاية من الجوانب الستّ: فوق، أسفل، أمام، خلف، يمين، ويسار.

---

[2] أدب فناء المقربين: 220/11.

[3] بحار الأنوار، 130/99؛ ينظر: أدب فناء المقرّبين، 455/6.

[4] سورة النمل، الآية 33.

[5] مغني اللبيب، 104/1.

[6] ينظر: النحو الوافي، ج2، ص434.

[7] سورة النمل: 33.

[8] ينظر: أدب فناء المقربين: 457/6 . 458.

[9] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، 129/99، وينظر: أدب فناء المقربين: 325/6.

قال تعالى: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ" [1]، ولا يختصّ بالحدّ المكاني، بل يعمّ الزماني أيضًا، كما في قوله تعالى: "ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ"[2]. ويُستعمل أيضًا في الرجوع إلى الله تعالى: "إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" [3]. والدعوة إليه: "إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ" [4].

ومفاد عبارة: "وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ" كمفاد الآية: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" [5]، وهي تُشبه فقرة (بكم فتح الله وبكم يختم) في الدلالة على المبدأ والمنتهى، بفارق أن الرجوع في الآية إلى المبدأ الحقيقي والمرجع النهائي للوجود بأسره، وفي فقرة الزيارة هذه، المراد بالمبدأ والمنتهى: وسائط فيض قوس النزول والصعود [6]، فالحقّ ينشأ ويصدر من الله، المبدأ الأول: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) [7]، ثم يُفاض على الناس عبر الذوات النورانية لوسائط الفيض، كما ورد في الزيارة:

"وإرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم" (مفاتيح الجنان، الزيارة المطلقة الأولى للإمام الحسين). وفي عودته إلى مبدئه، يمرّ أيضًا عبر الإمامة الملكوتيّة لتلك الذوات القدسية، فالله سبحانه وتعالى هو مبدأ ومنتهى الحقّ بالذات والأصالة، والأئمة مبدؤه ومنتهاه بالتبع[8].

دلالة الحرف (من):

ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: "وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُمْ" [9]، الحرف (من) من حروف الجر، وله معانٍ عدّة، منها: ابتداء الغاية، التبعيض، وبيان الجنس**.

وتجيء كلمة (قَبِلَ) كثيرًا متعدّيةً مع حرف (من)، كما في قوله تعالى:

"لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ"[10]، و "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[11]، وتأتي أيضًا مع حرف (عن) دالةً على المجاوزة، كما في قوله تعالى:

---

[2] سورة المنافقون، الآية 8.
[3] سورة البقرة، الآية 187.
[4] سورة الأنفال، الآية 44.
[5] سورة الرعد، الآية 36.
[6] سورة البقرة، الآية 156.
[7] تفسير تسنيم، 6 / 500.
[8] سورة آل عمران، الآية 60.
[9] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 325/6–326.
[10] بحار الأنوار، 131/99؛ أدب فناء المقرّبين، 217/11.
[11] سورة البقرة، الآية 48.
[12] سورة البقرة، الآية 127.

"أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ"[1]، فيكون معنى جملة (وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُمْ) أن الله تعالى يُبيّن بالأئمة حقيقة الإيمان الخالص، ويجبر بهم نقص إيمان الناس.

وقد ذكر العلّامة محمد تقي المجلسي (رحمه الله) عدة احتمالات لهذه الفقرة، وأيّدها العلّامة الشيخ الآملي، ولا سيما أدقّها:

1-عُرف التوحيد وغيره من المعارف من قولكم.

2-نهاية مراتب التوحيد لا يُوصل إليها إلّا بمتابعتكم [2].

وكذا في قوله: "وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ"[3]، كلمة "مِنْكُمْ"، الحرف (من) لابتداء الغاية، وهو الغالب عليها حتى ادّعى جماعة أنّ سائر معانيها راجعة إليه [4]. والبعض يسمّيها (من النشوية)، لدلالتها على المنشأ، كما في قوله تعالى: "إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ"[5]، حيث دلّت على مبدأ مجيء الرسالة وأول نشوئها. والمُراد بهذه الفقرة: أنّ الأئمة هم منشأ الحقّ ومبدؤه [6].

دلالة الحرف (مع):

ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: "وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ"[7]، كلمة "معكم": الحرف (مع) يدلّ على المصاحبة بين شيئين، يقال: هذا مع ذاك. وفي مقاييس اللغة، المعيّة ليست بالضرورة زمانيّة أو مكانيّة، بل قد تكون بمعنى التلازم المعنويّ الدائم الذي لا يُصمّ.

وكذا في الحديث النبويّ: "عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ"[8]. فليس المراد أنّ عند عليّ مصحفًا يحمله معه أينما حلّ وارتحل، بل المراد المعيّة المعنوية، وهي فوق المعيّة المكانيّة والزمانيّة، وهي المقصودة في قوله تعالى: "وَاللَّهُ مَعَكُمْ" [9]، فالمعية المتقابلة بين عليّ والقرآن بمعنى أن لا انفصام بين حقيقتهما النورية، وهي المرادة في عبارة: (والحق معكم) في هذه الفقرة [10].

---

[2] سورة التوبة، الآية 104.

[3] ينظر: روضة المتقين، العلّامة المجلسي، 492/5؛ أدب فناء المقرّبين، 220/11-221.

[4] بحار الأنوار، 129/99؛ ينظر: أدب فناء المقرّبين، 325/6.

[5] مغني اللبيب، 419/1.

[6] سورة النمل، الآية 33.

[7] أدب فناء المقرّبين، 325/6.

[8] بحار الأنوار، 129/99؛ ينظر: أدب فناء المقرّبين، 325/6.

[9] أمالي الطوسي، المجلس 17، حديث 15.

[10] سورة محمد، الآية 35.

[11] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 324/6.

دلالة الحرف (في):

كلمة "فيكم": الحرف (في) للظرفية، المكانيّة والزمانيّة، كما في قوله تعالى: "غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ"[1]، والظرف الزماني منه الحقيقي، كما في الآية، ومنه المجازي، كما في قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" [2]، بمعنى أنّ الأمن الاجتماعي وحفظ حياة الناس في القصاص من الجناة.

وفي هذه الفقرة من الزيارة، كأنّ الزائر وغيره يُخاطبون: اعلموا أنّ الحقّ تجدونه في الأئمة، وفي مدرسة الاقتداء بهم. وإذا كانت الألفاظ موضوعة للمفاهيم الكليّة وأرواح المعاني.

فاستعمال الحرف (في) في أمثال هذه المواضع استعمالٌ حقيقيّ وليس مجازيًا [3]. ومفاد عبارة: "وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ" كمفاد الآية: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"، وهي تشبه فقرة: (بكم فتح الله، وبكم يختم) في الدلالة على المبدأ والمنتهى، بفارق أنّ الرجوع في الآية إلى المبدأ الحقيقي والمرجع النهائي للوجود بأسره، وفي فقرة الزيارة، المراد وسائط فيض قوس النزول والصعود [4].

فالحق ينشأ ويصدر من الله، المبدأ الأول: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)، ثم يُفاض على الناس عبر الذوات النورانية لوسائط الفيض، كما ورد في الزيارة: "وإرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم" (مفاتيح الجنان، الزيارة المطلقة الأولى للإمام الحسين). وفي عودته إلى مبدئه، يمرّ أيضًا عبر الإمامة الملكوتية لتلك الذوات القدسية، فالله سبحانه وتعالى هو مبدأ ومنتهى الحقّ بالذات والأصالة، والأئمة مبدؤه ومنتهاه بالتبع [5].

---

[2] سورة الروم، الآيات 2–4.

[3] سورة البقرة، الآية 179.

[4] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 6/224–225.

[5] ينظر: تفسير تسنيم، 6/500.

[8] ينظر: أدب فناء المقرّبين، 6/326.

الخاتمة:

1- اتّضح أنَّ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للعلامة الآملي ذو قيمةٍ علميّةٍ بالغة ومتنوعة، وأنَّه غنيّ بالموضوعات والأبحاث اللغوية، وقد فاق بذلك جميع الشروح القديمة والحديثة.

2- عُني العلّامة الآملي بالدلالات اللغوية على اختلافها، ولكن بدرجات متفاوتة؛ فكانت الدلالة المعجمية والصرفية مقدّمة على سواها، ثم الدلالة التركيبية، ولم يُعطِ الدلالة الصوتية أي اهتمامٍ في شرحه، على حين كانت له دراية بالدلالة الصرفية، وإحاطة بمعاني الأوزان الاسمية والفعلية، وما يعتري الصيغ من زياداتٍ بنيوية تغيّر المعنى، والأثر الدلالي الذي تُحدثه.

3- من عناية الشيخ الآملي بمباحث علم الصرف وقوانينه، وإجادته في توظيفها، نتلمّس تناوله الاشتقاقات الاسمية والفعلية ومعانيها، وتفريقه بينها تفريقًا دلاليًّا دقيقًا؛ إذ جاءت الدلالة الصرفية في شرحه على قسمين: دلالة الأفعال، ودلالة الأسماء.

4- يرى العلامة الآملي ترابط نصّ الزيارة وتماسكه من خلال التناسب بين فقراتها، الذي ذكره في شرحه، ويرى أنّ الزيارة الجامعة كـ سُوَر القرآن الكريم فيها المُحكَم والمتشابِه، ومُحكماتها التوحيدية مشرفة وظاهرة على بقيّة الفقرات والمضامين، وهي الشارحة لمعاني المتشابه والمبيّنة لمبهماته.

5- كان للشارح عناية بالجانب النحويّ الدلالي، في التراكيب النحوية: في الحذف والتقدير، والتقديم والتأخير، وأجزاء التركيب، والإضافة وأثرها في دلالة التركيب، ودلالة حروف المعاني؛ وذلك لكثرة ورودها وتعدّد معانيها ودلالاتها في نص الزيارة.

6- أمّا الجانب المعجمي فكان حاضرًا؛ فقد ضمّ الشرح جانبًا كبيرًا من دلالات الكلمة المفردة، إذ تنوّعت استدلالاته، وتنوّعت أشكال المعنى لديه؛ فقد يُفسّرها بشكل دقيق، من خلال التقابل أو النقيض أو بالخِلاف، ولم يشر إلى مصطلح الترادف، كما تطرّق إلى المشترك اللفظي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب والمصادر المطبوعة:

- الجوادي الآملي (1983): أدب فناء المقربين ط1، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- الطوسي، أمالي (1414هـ): محمد بن الحسن الطوسي (ت 385هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، ط1، إيران: قم المقدسة.
- الكربلائي، جواد بن عباس (2007): الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، بيروت – لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي.
- المجلسي، محمد باقر (1983): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط1، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- الطبري، محمد بن علي (1422هـ): بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة.
- الآملي، عبد الله الجوادي (1379هـ): تسنيم في تفسير القرآن، ط2، قم المقدسة، مركز الإسراء الدولي للطباعة والنشر والترجمة.
- عوّاد، محمد حسن (1982): تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- بن أحمد، الحسن (1999): التكملة، تحقيق: كاظم بحر المرجان، ط1، بيروت – لبنان: عالم الكتب.
- مجاهد، عبد الكريم (1985): الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء.
- العامري، خليل خلف (2018): الدلالة القرآنية في تفسير مجمع البيان، ط1، بيروت – لبنان: دار الولاء لصناعة النشر.
- الطهراني، آقا بزرك (1983): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط3، بيروت – لبنان: دار الأضواء.
- المرادي، حسن بن أم قاسم (1992): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

- القمي، محمد بن علي بن بابويه (1403هـ): الخصال، تصحيح: علي أكبر غفاري، ط2، قم المقدسة، منشورات جامعة المدرسين.
- بن عبد الله، جمال الدين محمد (1990): شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ط1، القاهرة: هجر للطباعة والنشر.
- الحسيني، أيوب بن موسى (1998): الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ط2، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة.
- ابن منظور (1414هـ): لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر.
- حسان، تمام (2006): اللغة العربية: معناها ومبناها، ط5، القاهرة – مصر: عالم الكتب.
- الطريحي، فخر الدين (1416هـ): مجمع البحرين، تصحيح: السيد أحمد الحسيني، ط3، طهران: مكتبة المرتضوي.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (د.ت): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط2، بيروت – لبنان: دار المعارف.
- الحسيني، علي (1441هـ): مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، ط2، قم – إيران.
- الأنصاري، ابن هشام (1991): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت – لبنان: المكتبة العصرية.
- حسين، محمد (1412هـ): الميزان في تفسير القرآن، ط5، مؤسسة إسماعيليان.
- الجزائري، السيد نعمة الله (1445هـ): البحث الدلالي في كتاب نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، خليل خلف بشير، مجلة تراث الجنوب، السنة 1، العدد 2، جمادى الأولى.
- الحلي الكاظمي، السيد عبد الحسيني، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة.
- بن عيسى، علي (1381هـ): كشف الغمة في معرفة الأئمة، تصحيح: السيد هاشم الرسول المحلاتي، تبريز: مكتبة الهاشمي.
- بن عبد الله، نعمة الله (1427هـ): رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، ط1، بيروت – لبنان: مؤسسة التاريخ العربي.
- الفضلي، عبد الهادي (1980): اللامات: دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية، ط1، بيروت – لبنان: دار القلم.

- المجلسي، محمد تقي (2008): روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للصدوق، ط1، قم – إيران: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

ثالثًا: الرسائل والأطاريح:

- جبر، ميثم عزيز (2019): أسرار التعبير القرآني في تفسير تسنيم للعلامة الشيخ عبد الله الجوادي الآملي، بيروت – لبنان، المركز العلمي للرسائل والأطاريح: رسالة ماجستير.
- بشير، خليل خلف (1445هـ): البحث الدلالي في كتاب نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، السيد نعمة الله الجزائري، كلية الآداب، مجلة تراث الجنوب، السنة 1، العدد 2، جمادى الأولى.